جان كوكتو

المسرحية الثانية

الصوت الإنساني

مسرحية من فصل واحد

العنوان الأصلي للمسرحية:

JEAN COCTEAU
LA VOIX HUMAINE

الشخصية

أدت دور الشخصيّة الوحيدة
الآنسة : بيرت بوفي
قُدّمت مسرحيّة «الصوت الإنساني» لأول مرة
على مسرح «الكوميدي فرانسيز»
في ١٧ شباط (فبراير) سنة ١٩٣٠.

مقدّمة

بقلم الكاتب

الكاتب يحب التجارب. أمّا وقد درجت عادة التساؤل عمّا ينوي أن يعمله بعد أن شاهد ما فعله، فقد يغدو من الأيسر الاستعلام مباشرة بلا وسيط.

أما البواعث التي جعلته يزمع على كتابة هذا الفصل المسرحي فعديدة:

١ً- الباعث الغامض الذي يحث الشاعر على الكتابة، فيما ترفضها كل نوازع الكسل العميقة، الكامنة في داخله، وترفده، من غير شك، ذكرى حديث على الهاتف سمعه على حين غرّة، والرنّات الخاصّة لصوت رزين هو نسيجُ وَحْدِه، وأبديّة فترات الصمت.

٢ً- يأخذون عليه التعامل بالماكينات، والإفراط في مَكْنَنَة مسرحياته، والمبالغة في الاعتماد على الإخراج. فحرص على اختيار الشكل الاكثر بساطة: فصل واحد وحجرة واحدة

وشخصيّة واحدة والحب، ثم جهاز الهاتف كمتّم مبتذل للحجُرات العصرية.

٣- إن ما يمثله المسرح الواقعي بالنسبة للحياة شبيه بما تمثله لوحات صالة الفنون الجميلة (البوزار) بالنسبة للطبيعة. كان ينبغي رسم امرأة جالسة. وليست امرأة ما، أي امرأة ذكيّة أو غبيّة، بل امرأة مجهولة، وتفادي الكلام ببراعة والمحاورة القائمة على الاجابات السريعة وبالمثل، وكلمات عاشقة تسبب من الضيق ما تسببه كلمات الاطفال، أي باختصار كل ذلك المسرح الذي تلا المسرح القاطر بالسموم والذي حلّ بسماجة ومداجاة محل المسرح من دون ما أوصاف، المسرح الحقيقي، وحسابات سوفوكليس وراسين وموليير الحيّة.

ويتمثّل الكاتب مشقة المشروع. فيعمد عاملا بنصيحة فيكتور هوغو، إلى ربط التراجيديا والدراما بالكوميديا، تحت رعاية ما يقدّمه الجهاز، الأقلُّ ملاءمةً للتصدّي لشؤون القلب، من بلبلة وتشويش.

٤- يؤخذ أخيراً على الكاتب ما يَطْلُبه في الغالب من ممثليه كطاعةٍ مجحفة بمواهبهم، مع مطالبته بأن يكون دوماً في المصاف الأول. فرغب في كتابة مسرحية غير مقروءة. ومثلما دُعِيَتْ مسرحيّته «روميو» فرصة للاخراج، تصلح هذه لأن

تكون فرصةً لممثلة. فالعمل سيتوارى وراء تمثيلها، لأنّ الدراما ستعطيها الفرصة لتأدية دورين اثنين، الأول حين تتكلم، والثاني حين تصغي، فتحدّد ملامح الشخص غير المرئيّ الذي يعبّر من خلال فترات الصمت عن نفسه.

ملاحظة- يخطيء من يعتقد أنّ الكاتب يبحث عن حلّ معضلةٍ نفسيةٍ ما. إذ أنّ همّه مقتصرٌ على حلّ مسائل ذات طبيعة مسرحيّة. فالداء الذي ينبغي أن نتصدّى له كامن في المزج بين المسرح والوعظ والخطابة والكتاب. والمسرح النقي سيغدو شعاراً عصرياً، ما لم يكن قولنا المسرح النقيّ والشعر النقيّ لغواً ليس إلاّ، ذلك أنّ الشعر النقيّ يعني: الشعر، والمسرح النقيّ يعني: المسرح. وكلّ ما خلا ذلك باطل.

يضيف الكاتب أنّه أعطى هذا الفصل المسرحي الى «الكوميدي فرانسيز» ليقطع الطريق على أسوأ أشكال التعصّب: المسرح الشاب في مواجهة المسرحيات الرسميّة. فحين أفسح مسرح الجادات[1] المكان للفن السينمائي وحين احتلّ مايدعى بالمسرح الطليعي موقع مسرح الجادات بصورة تدريجيّة، لم يبق إلاّ الإطار الرسمي، الإطار الذهبي، هو

١- مسرحيات شعبية وهزليّة كانت تُعْرض في الجادات. (م)

الوحيد القادر على إبراز عمل ليست جِدّته واضحة كعين الشمس.

إن جمهور الجادّة الجديد يتوقّع كلّ شيء. فهو متلهّف للأحاسيس. ولا يقيم تقديراً لأيّ شيء. أمّا «الكوميدي فرانسيز» فما يزال لديه جمهور متلهّف للعواطف. وبينما تتوارى شخصية الكُتّاب لصالح مسرح مجهول، فإنّ «عرضاً للكوميدي فرانسيز» كفيل بإعطاء المؤلّفات، ما تتمتع به من تميّزٍ وبعْدٍ، حين يكفّ واقع الحال عن تشويهها.

الديكور

خشبة المسرح مصغّرة محاطة بإطار أحمر من الستائر المدهونة، يمثل زاوية غير متساوية من حجرة امرأة. الحجرة معتمة ضاربة إلى الزرقة، فيها على اليسار سرير بحالة فوضى وعلى اليمين باب مشقوق يؤدّي الى غرفة حمّام بيضاء مضاءة جداً. امّا في الوسط، فوق القاطع، فنشاهد صورة فوتوغرافية مكبّرة لاحدى الروائع الفنيّة بوضع مائل أو صورة عاذلية. أي باختصار صورة ذات مظهر غير متألّق.

يقوم أمام حفرة الملقّن، كرسي واطىء ومنضدة صغيرة: جهاز هاتف وكتب ومصباح يعكس نوراً عنيفاً.

ترتفع الستارة عن حجرة جريمة قتل. اذ تشاهد امرأة بقميص نوم طويل مستلقية على الارض أمام السرير كقتيلة. فترة من الصمت. تجلس المرأة فتغيّر وضعها ثم تظل ساكنة أيضاً. أخيراً تتخذ قرارها فتنهض لتأخذ معطفاً من على السرير وتتوجّه صوب الباب بعد توقّف قصير أمام جهاز الهاتف. ما إن تلمس الباب حتى يرنّ جرس الهاتف. فترخي المعطف

وتنطلق. يعيق المعطف حركتها فتزيحه بركلة قدم وترفع السمّاعة.

بدءاً من هذه الدقيقة، سوف تتكلّم وهي واقفة أو قاعدة، مديرة ظهرها ثم وجهها أو بشكل جانبي، وقد تجثو وراء مسند الكنبة فلا يظهر منها غير رأسها، وتتكيء على المسند وتظلّ تجوب أرجاء الحجرة وهي تجرّ السلك وراءها حتى النهاية حيث تهوي مواجهة على السرير. عندئذ يتدلى رأسها وترمي السماعة من يدها كالحجر.

ينبغي لكلّ وضع من الأوضاع التي تتخذها أن يتلاءم ومرحلة بعينها من مراحل المونولوج- الحوار (مرحلة الحديث على الكلب- مرحلة الكذبة- مرحلة المشتركة بالهاتف، الخ.) أما التوتّر العصبي فلا يتمثّل بالاستعجال وإنّما بتلك المنظومة من الأوضاع التي على كلّ وضع منها أن يجسّد قمّة الضيق.

مئزر، سقف، باب، كنبة، أغطية ملابس، عاكسات نور بيضاء. ينبغي ايجاد طريقة إنارة لحفرة الملقّن تشكّل ظلا عالياً وراء المرأة الجالسة، وتبرز إضاءة العاكس.

بما ان أسلوب هذا الفصل المسرحي يستبعد كل ما هو شبيه بالحوار السريع والكلام ببراعة. فإنّ الكاتب يوصي الممثلة التي

ستؤدي الدور بدون إشرافه، أن لا تُضَمِّن كلامها أيّة لهجة تهكُّم تصدر عن امرأة مهانة ولا أيّة مرارة. فالشخصية ضحيّة بيْن بيْن، وهي عاشقة من البداية حتى النهاية. ولم تحاول غير مكيدة واحدة: أن تمدّ يد المساعدة للرجل كي يعترف بكذبته وأن لا يخلّف في نفسها تلك الذكرى الدّون. ويتمنّى على الممثلة أن تعطي الانطباع أنّها تنزف، أنّ دمها يسيل غزيراً، مثل وحش مصاب وكأنها تنهي الفصل في حجرة لطّخها الدم.

يرجى التقيّد بالنص، لأنّ الأخطاء النحوية والعبارات المكرّرة وسياق الجمل الأدبية، والعبارات المُسفَّة، ناجمة كلّها عن تقدير فَطِن.

ملاحظة: لن يغرب عن بال القارىء الفطن أن الحديث على الهاتف يجري في مدينة باريس قبيل عام ١٩٣٠ -المترجم-

ألـــــو، ألـــــو، ألـــــو. . . . .
ولكن لا، يا مـــدام، عـــددنا كـــبـــيـــر على الخط،
أغـــلـــقـــي. . . . . ألـــو. . . . .
أنـــتِ مُشْتَرِكــــــــــة. . . . . . . آه! . . . .
ألـو! . . . . لـكـن يـا مـــــدام،
أنـــتِ أغـــلـــقـــي الخـــط . . . . ألـــو،
يـا آنســــــة، ألـو. . . . . . . دعـــــينا. . . . . .
كـــلا، هنا ليس الدكـــتـــور شـــمـــيت. . . . .
صفر ثمانية، وليس صفر سبعة. . . . . ألو. . . . .
هذه مــهـــزلة. . . . . لقـــد طلبـــوني، لست
أدري. (تُغْلق الخط ويدها على السـمـاعـــة.
جـــرس الهـــاتف يرن). . . ألو! . . لكن، يا مـــدام
ماذا تريدين منّي أن أعمل؟ . . . إنّك تسبّبين لي إزعاجاً
شـــديداً. . . . كـــــيـــف، غـلـطـتـي. . .
لا البـــــتّة. . . لا البـــــتّة. . . ألـو! . . . ألـو،
يا آنسة. . . إنّهم يطلبونني ولا أستطيع أن أتكلّـم. علـى
الخـــط أنـــاس كثُر. قـولـــي لتلـك السيـــدة أن تخـــرج
عــن الخـــط (تغـــلق الخـــط. جـــرس الهـاتف يرّن.)
ألـــو! هـــذا أنـــت؟ . . هـــذا أنـــت؟ . . .

نعم. . . . أسـمـعكَ على نحـو سيء جـداً. . . أنتَ بعـيـد جـداً، بعـيـد جـداً. . . . ألو. . . . هذا رهيب. . . . . . . هنـاك عـدة أشـخـاص على الخط. . . أطلب ثانيـة. ألو! أ. ط. ل.ب ثا. . نية أقـول: اطلبني ثانيـة. . . . ولكن، يا مـدام، اخـرجي عن الخط. أكـرّر لك القـول لست أنا الدكـتـور شـمـيـت. . . . . ألـو! . . .

(تغلق الخط. جرس الهاتف يرّن).

آه! أخـيـراً. . . . هـذا أنـتَ. . . .

نعم. . . . حـسـن جـداً. . . . . ألـو! . . . . .

أجل. . . كـان أمـر سـمـاعك بين كل هؤلاء الناس عـذاباً حـقـيـقـيـاً. . . أجل. . . . أجل. . . .

. . . .

كـلا. . . . إنّهـا مـسـألة حظ. . . رجـعـت قـبل عـشـر دقـائق. . . . . لم تكن قـد طلبـتني بعـد؟. . . . آه! . . . . كـلا، كـلا. . . .

. . . تناولت العـشـاء خـارجـاً. . . . . . عند مـارت

. . . . . لابد أنّهـا الحـادية عـشـرة والربع. . .

أنت في البـيت؟. . . إذن انظر الى سـاعـة الحـائط

الكهـربائيـة . . . هذا مـا كنت أحـسـبـه . . . . . .
نعم . نعم ، حـبيـبي . . . . البـارحـة مسـاء؟ البـارحـة
مـسـاء رقـدتُ علـى الفـور ، ولمّا لـم
استـطع أن أنـام ، تـنـاولتُ قـرصـاً
. . . . كـلا . . . واحـداً . . . في السـاعـة التـاسـعـة
. . . . كـان بي صـداع خـفـيف إلا أنّي
تحـركت . جـاءت مـارت . تناولت الغـداء مـعي .
اشـتـريت بعض الحـاجـات . عـدت الى البـيت .
وضـعت الرسـائل كلّهـا في المحـفظة الصـفـراء .
أنـا . . . . مـاذا؟ . . . . قـويّة جـداً . . . .
أقسم لك . . . . أنا على جـانب كـبـيـر ، كـبـيـر من
الشـجـاعـة . . . . بعـدئذ؟ بعـدئذ ارتديت
مـلابسي ، وجـاءت مـارت لتـصـحـبني وهذا . . .
أنا قـادمـة من عندها . كـانت على خـيـر مـا ينبـغي . . .
جـداً ، طيّبـة جـداً ، رائعـة . . . . يبـدو هذا ،
لكنّهـا ليـست كـذلك . كنتَ على حق ، مـثلمـا أنت
دومـا . . . .
ثـوبـي الـوردي ، مـع الـفِراء . . . . .
قـبّعـتي السـوداء . . . . . . أجل ، مـازالت

قـبّعـتي على رأسي . . . . . كـلا ، كـلا ، لا أدخّن .
لـم أدخّن إلاّ ثـلاث سـجـائـر . . . . بـلى ،
هـذا صـحـيح . . . . بلى ، بلى . . . . أنت لطيف . . .
وأنـت ، عـدت لـتـوك؟ . . . . . لبـثـت في
الـبـيـت . . . . أيّة دعـوى؟ . . . .
آه! أجل . . . . لا ينبـغي أن تتـعـب نفـسك
. . . . . . ألـو! ألـو! لا تـقـطـعـوا الخط . ألـو! . .
. . . . ألـو! حـبـيـبي . . . . ألـو . . . .
اذا قطعـوا الخط ، اطلبني ثانيـة على الفـور . . .
. . . . بشـكـل طبـيـعي . . . ألـو! كـلا . . . .
أنـا هـنـا . . . المحـفـظـة؟ . . . رسـائـلك
ورسـائلي . بوسـعك أن تبـعث بمن يأخـذها
حـينمـا تشـاء . . . . . شيء من القـسـوة . . . . أنا
أدرك . . . إيه! حـبـيـبي ، لا تعـتـذر ،
هـذا طبـيـعي جـداً إنما أنا غـبـيـة . . . . .
. . . .
. . . . أنـت لـطـيـف . . . .
. . . . أنـت لـطـيـف . . . . وأنـا
أيضـا لـم أكـن أحـسـبني بهـذه القـوة . . . . . لا

ينبـــغي أن تطريني. أتحـــرك قليـــلاً مـــثل من يمشي في نومـــه. أرتدي مـــلابسي، أخـــرج، أعـــود بصـــورة آليـــة. قـــد أكـــون غـــداً أقلّ شـــجـــاعـــة.

. . . .

. . . . . أنـــت؟ . . . . . كـــــــــــــــلا.

. . . . . لكن، يا حـــبـــيـــبي، ليس لدي أدنى لـوم حـــــيـــــــالـك. . . . أنـا. . . . . أنـا

. . . . دَعْ. . . . . .

كـــيف؟ . . . . طبـــيـــعي جـــداً. . . . .

. . . . . على النقـــيض. . . . كـــان. . . . . .

. . . . كـــان من المسلّم به دومـــاً أن نتـــصـــرّف بصـــدق. وإنّهـا في نظري لجريمة لو تركتني، من غـيـر أن تعـرف شـيـئـاً حتى الدقيـقـة الأخـيـرة. فـالضـربة عندئذ ســتكون فـــائقـــة العنف، أمـــا هكذا فـــقـــد توفّر لديّ الوقت كي أتعـــــودّ، وأفـــــهـم. . .

. . . . . أيّة مـــســـرحـــيـــة؟ . . . . ألو!

. . . . من؟ . . . أن اؤدي حـيـالك مسـرحـيـة، أنـا! . . . . . أنـت تـعـــــــــرفـني، أنـا لا أقـــوى على إجـــهـــاد نفـــسي. . . . كـــلا

على الاطلاق. . . كـلا على الاطلاق. . . .
هادىء جـداً. . . كنتَ سمعتَه. . .
. . . أقول: كنت سمعته. ليس صوتي صوتَ
من تخفي شيئا. . . .
. كلا. قررّتُ أن أصير شُجاعةً وسوف
أكون ذلك. . . إسمح. . لم يكن الأمر
مماثلاً. . . . هذا ممكن، لكن
مهما خامرنا الشك وتَحَسّبْنا للمصيبة، انتهى
بنا الأمر دوماً الى الوقوع على قفانا. . لا
تبالغ. . . . لقد توفّر لي الوقت
مع ذلك لأن أتعوّد. وكنتَ حريصاً عليّ
فدلّلتني ونومّتني. . . .
كان حبّنا يوالي تقدّمه مجابهاً مصاعب لا تحصى.
كان عليّ أن أقاوم. إمّا أن أرفض خمسة
أعوام من السعادة. أو أقبل بالمخاطر. لم
أحسب قط أنّ متاعب الحياة ستسوّى. إنّني
أسدّد غالياً، فرحاً لا يُقَدَّر بثمن. . . .
. . . ألو. . . . لا يقدّر بثمن. ولست
نادمة. . . . لست. . . لست نادمة على

شـيء البـــــــــة- البـــــــتــــــة. . . . .

. . . .

أنــت. . . . . . أنــت مـــــــــــــخـطــىء

. . . . أنـــــت. . . . أنـــــت. . . .أنــــــت

مـــــــــــخـطــيء. أنـا. . . . . ألـو!. . . .

. . . أنا نلت ما أستحقّه. رغبت في أن أكون مجنونة

وأن أنال ســعــــادة جنونيـــة. . . . . حـــبـيـــبي

. . . . إســــــــــمــع. . . . ألـو!. . . .

. . . . . . حــــبـــيـــبي. . . . دعني. . . .

. . . ألــو. . . . دعـــنـــي أتــكــلــم. لا تــتّهــم

نفـــسك. الخطأ كـلّه خطئي أنا. بلى، بلى. . . .

تذكّر يوم الأحـــد في فــــرســـاي والزورق المطاطي

. . . . . آه! . . . . . . إذن! . . . . .

. . . أنا التي رغـــبت في المجيء، وأنا التي وضـــعت

يدي على فمك لأمنعك من الكلام، وأنا التي قلت لك إنني

لا أقــيم للأشــيـــاء كلّهـــا وزنا. . . . لا. . . . لا

. . . . لا. . . . أنت هنا غــــيـــــر مُحِق. . .

. . . . . أنـا. . . . . . أنـا هـتــــــــفـت فـي

البـــداية. . . . كـــلا، الثـــلاثاء. . . . . . .
يـوم ثـلاثـاء. . . . إنـني واثقـــــة مـن ذلـك. يـوم
ثلاثاء في ٢٧ . وصلت برقيتك مساء الاثنين في ٢٦ . هلاّ
تذكّرتَ إنّني أحــفظ التــواريخ عن ظهــر قلب. . . .
. . . . . . أمّك؟ لمــــــــــــاذا. . . . .
ليس في واقع الأمــر مــا يســتــدعي ذلك. . . لا
أعــــــرف بعـــــد. . . . نـعـم. . . . . . ربما
. . . . آه! كــلا، ليس على الفــور بكل تأكــيــد،
وأنــت؟ . . . . . غــــــــــداً. . . . لــم
أكن أحــسب أنّ المســألة بهــذه الســرعــة. . . . إذن
انتظر. . . . الأمــــر بســيط جــداً. . . غــــداً
صــبــاحــاً أضع المحــفظة لدى حــارســة المبنى. لن
يبــقى على جــوزيف الاّ المرور لأخــذها. . . آه! أنا،
أنت تعــرف أنّ بوســعي أن ألبث هنا ، كــمــا بوســعي
أن أتوجّه لقـــضــــاء بضــــعـــــة أيام في الـريف
عـــنـــد مــــــــــــــــــــارت. . . . .

. . . .

إنّه هنا. مَثَلُه كــمــثلِ روحٍ مــعــذّبة في النار. أمــضى
الوقت يوم أمس مــتنقّلاً مــا بين البــهــو والحــجــرة.

كـان ينظر إليّ، ويَنْصب أذنيـه ويصـيـغ السـمع . كـان يبـحث عنك في كل مكان . ويبـدو كـأنّه يلومني على بقـائي جـالسـة وعـدم مـشـاركـتي إيّاه في البـحث

. . . .

. . . . أرى الحلّ الأمـــــثل في أن تأخـــــذه أنت . . . . لابّد أن يكون هذا الحــــيــــوان شـــــقـــــيّاً . . . إيه! أنـا! . . . . ليس هذا بكلب امــــرأة . ولن أجـــيـــد العناية به . ولن أصطحـــبــــه وأخـــرج . الأفـــضل أن يـظـل مـــــــعـك . . . . . قـــــــد ينســـاني بســرعـــة . . . ســـوف نرى . . . . .

. . . . ســـــــــوف نــرى . . . . لــيس الأمــر مـــعــقّداً جــداً . يبــقى عليك أن تقـــول إنّه كلب أحد أصـدقـائك . إنّه يحب جوزيف كـثيراً . يمكن أن يأتي جــوزيف ليـأخـذه . . . سـيـضع في عنقــه الطوق الأحـــمـــر . ليس له صــفــيــحــة . . . .

. . . ســـــــــوف نــرى . . . أجــل . . .

. . . نعم، يا حــبــيــبي . . . . فــهــمت . . . .

. . . . بلى، يا حـــبـــيـــبي. . . . أيّة
قـــفّازات؟ . . . قـــفّازاتك المبطّنة بالفـــرو،
القـفّازات التي كنت تلبسها لتقود السيارة؟ . . . .
. . . لست أدري. لم أرَ شـــيـــئـــاً. هذا
ممكن. ســــأرى. . . . . تنتظر. لا
تدعهم يقطعون الخط.
(تتناول من وراء المصباح، على المنضدة، قفّازات
جلديّة مبطّنة بالفرو فتقبّلها بشغف. تستأنف الكلام
والقفازات مطبقة على خدّها)
ألو . . . . ألو. . . . كـــلا. . . . بحـــثتُ
فـــوق الصـــوان، فـــوق الكنبـــة، وفي البـــهـــو،
في كل مكان، لم أعـــثـــر عليـــهـــا. . . . . .
إســـمع. . . . . ســـأرى أيضـــاً، لكنّني
مـــتـــأكّدة. . . . إذا مـــا تمّ
العثور عليها غدا صباحاً، فسوف أضعها في
الأسفل مع المحفظة. . . . حـبـيـبي؟ . . . .
الرســـائل. . . . أجل. . . . ســـوف تحـــرقـــهـــا
. . . . . ســـأتوجّه إليك بطلب مـــبـــتـــذل. . .
. . .. كـــلا، انتـــبـــه، أريد أن أقـــول، بودّي

إذا مــا حــرقـتــهــا، أن تحـتـفظ بالرمــاد داخل علبـــة الصَّدَف الصـــغـــيـــرة التي أعطيـــتك إياها من أجـل الســـجـــائـر، وأن. . . . ألـو!. . . .

. . . . كـــلا. . . . أنـا غـــبـــيّة. . . .

سـامـحني. كنت قـويّة جـداً. (تجـهش بالبكاء). . .

. . . .

. . هاك، انتــهى. انا أمــسح أنفي. ســأســعــد في النهاية بالحصول على ذلك الرماد. هذا كل شيء. . .

كـــم أنــــت طـــيّب!. . . . آه!

(تقـول الممـثلة المقطع التـالي، بين الأقـواس، باللغـة الأجنبـيــة التي تجـيــدها أكـــثــر.)

«فــيــمــا يتـعلّق بأوراق أخــتك، أحــرقت كلّ شيء في فــــرن المطبخ. خطـر على بـالي أولاً أن أرفـع الـرسـم الـذي حـــدّثـتـنـي عـنـه، لـكـن بما أنّك قلت لي أن أحــرق كلّ شيء فــقــد أحــرقت كـــل شــــيء. . . . . آه! طـــيّب . . . . طـــيّب. . . . نـــعـــم». .

. . . (بالفــرنســيــة) صـحـيح إنّك ترتدي المِبْذَل . . . . . . أنــت راقـــد؟. . . . .

. . لا ينبغي أن تعمل حتى هذه الساعة المتأخرة، عليك أن تنام اذا كنت ستنهض باكراً صباح غد. ألو!
. . . ألـــــو! . . . . وهـــــكـــــذا؟ . . .
. . . . لكني اتكلّم بصـــوت عـــالٍ جـــداً. . .
. . وهكذا، تســـمـــعني؟ . . أقـــول:
، هكذا، تســـمـــعني؟ . . . . هذا مـــضـــحك لأنّني أســـمـــعك أنا وكـــأنك هنا في الحـــجـــرة
. . . . ألـــــــــــــــــــــــو!
ألـــــو! . . . . . هـــيّا، لابـــأس، أنـــا الآن لا أســـــمـــــعك. . . . بلى. لكن بعيد جداً، بعيد جداً. . . . أنت تسمعني. كل واحـــــد بدوره. . . . كـــــلا، لا تقلق الخـــط! . . . . ألـــو! . . . أنـــا اتـــكـــلـــم، يا آنســـة، أتكلم! . . . آه! أســـمـــعك، أسمعك بشكل جيّد جداً. أجل، كان مزعجاً. يشـــعـــر المرء أنّه ميت. يســـمع ولا يستطيع جعل صوته مسموعاً. . . . كلا، جيد جداً، جداً. بل إنّه لأمر عجيب أن يَدَعونا نتكلّم طول هذا الوقت. فقد جرت العادة أن يقطعوا الخط في غضون ثلاث

دقـــائق ثم يعطونك رقـــمـــاً مـــغلوطاً. . . .
بلى، بلى. . . . . . . بل أنا أســـمع على نحـــو
أفضل من قبل، لكنّ جهاز هاتفك له طنين، وكأنّه
ليس جهازك. . . . . أنا أراك، كما تعلم. (يطلب منها
أن تخمّن). . . . أيّ وشاح. . .
الوشاح الاحمر. . . آه!. . . . . مائل نحو اليسار. .
أكمامك مشمورة. . . يدك
اليسرى؟ السماعة. يدك اليمنى؟ قلم الحبر.
أنت ترسم على ورقة مسوّدة، وجوهاً جانبية
وقلوباً وأنجماً. أنت تضحك. أنا لي عينان في
موضع الأذنين. . . . (تقوم بحركة آليّة
لإخفاء وجهها). . . . .إيه! كلا
يا حبيبي، إيّاك أن تنظر إليّ. . .
. . . خوف؟. . . كلا، لن أشعر بالخوف
. . . الحال أسوأ. . . تبقى المسألة
أنني لم أعد متعودّة على النوم بمفردي. . .
. . أجل. . . . أجل. .

. . أجـــل . . . نـــعـــم، نـــعـــم. . . . أنـــا
أعــــدك. . . . أنـا، أنـا. . . أنـا أعــــدك. . .
. . . . أنـــا أعـــــــــــدك. . .
. . . .
. . . . أنــــت لــــطـــيـــف. . .
لست أدري أتحــاشى النظر إلى نفـــسي. لم أعـــد
أجرؤ أن أضيء المصباح في مقصورة الهندام. بالأمس
وَجَدتُني وجـــهـــا لوجـــه مع سـيّدة مسنّة. . .
. . . . كــلا، كــلا! سـيّدة مسنّة هزيلة ذات
شعر أبيض ووجه فيه عدد لا يحصى من التجاعيد.
. . . . أنــت طـيّب جــــــــــــدّاً!
لكن، يا حـبـيـبي، الوجـه المدهش أسوأ من كل
مـــا عــــداه. إنّه لـلفنانين. . . . .
كنت اســـتـــمع بكلامك حين تقـــول: ألا
انظري إلى تلك الطلعة الصغيرة الدميمة! . . .
. . . . أجل، يا ســيـــدي العـــزيز! . كـنت
أمـــــزح. . . . . أنـت غـــــبي. . . .
. . . مـــن حـــــــــســن الـطـالـع
أنّك أخــــرق وأنّك تحـــبني. لو لم تكن تحـــبنّي

وكنتَ حـــاذقـــاً، لتـــحــــوّل الهـــاتف الى ســــلاح مـــــخــــــيف. ســـــــلاح لا يـخلّف من أثـر ولا يُحــــــدث من ضـــــجــــيج. . . أنا، شـــــريرة؟ . . . . ألو! . . . ألو! ألـو! . . . . ألو، حبيبي. . . . أيــــــــن أنــــــــت؟ . . . ألــــــــو، ألـو ألـو، يـا آنســــــة. (تـرنّ الجــــــرس) ألـو! يـا آنسـة. قطعـوا الخط. (تضع السـمـاعـة. فـتـرة صـمـت. ترفع الســمـــاعــة.) ألو! (ترنّ الجــرس) ألو! ألـو! (ترن الجرس) ألو، يا آنسة. (ترن الجرس. جرس الهاتف يرن) ألو، هـذا أنــت؟ . . . . ولـكــن لا، يـا آنـســــــــة. قـطعـــــوا عليّ الخط. . . . لا أعـــــرف. . . . . . . أي أنّه. . . إذا. . . . انــــــتــــــظــــــري . . . . «أوتـوي» ١٤ فــــــاصلـة ٠٨ ألـو! . . . . الخط مـــــشـــــغــــول؟ . . . . ألو، يا آنســـــة، يطلبني من جـــديد. . . . . طيب. (تضع السماعة. جرس الهاتف يرنّ) ألو! ألو! ٠٤، فـــاصلة ٧ «أوتوي». (تنتظر) ألـو! «أوتـوي» ٤٠ فـــاصلة ٧؟ آه نعم. هذا أنت يا جــوزيف. . . . . السـيّدة تتكلّم. . . . قطعــوا علينا الخط مع

مـع الســـــــــــيّد. . . لـيس هـنـا؟. . .
نـعـم. . . . نـعـم. . . . لا يـعـــــــود هـذا
المســـاء. . . . صــحــيح إنني غــبــيّة!
كـان السيـد يتـحـدّث إليّ من أحـد المطاعم، وقطعـوا
الخط، فطلبت رقـــمـــه ثانيـــة. . . . .
. . . المعـــذرة، يا جـــوزيف. . . شكراً. . .
(تغلق الخط ويبدو عليها شيء من الألم. جرس الهاتف يرن)
ألـو! آه! حـــبـــيـــبي! هذا أنت؟. . . . . .
قـطعــــوا الخط. . . . . كــــلا. كــــلا.
لبـثت انتظر. رنّ الجـرس، رفـعت السّمـاعـة فلـم ألق
أحـــــــــــداً. . . . . دون شـك. . . .
بكل تأكـيـد . . . . انت تشـعـر بالنعـاس. . .
يالطيـبـتك حين هتــفت لي. . . . طيّب جـــداً
(تجـهش بالبكاء). . . . (فـتـرة صـمت). . . .
كـــلا، أنـا هـنـا. . . . مـــاذا؟. . . .
. . . . اســـــــمح. . . . . هـذا
غـــبـــاء. . . . . لاشيء، لاشيء. . . . .
لـــســت أشــكـــو مــن شـــيء. . . . .
. . . . أقـــــــــسم لـك

إنـــــي لا أشــكــو مـــن شـــيء. . . . . الــشـــيء ذاتــه. . . . . لا شـــيء الــبـــــــــتّة. أنـــت مـــــخطـيء. . . . . مـــــثلـمـــــا كـــــان قـــــبـل قلـيـل. . . . . . إنّمـــــا نحـن، كـمـا تعلم، نتـحـدّث ونتـحـدث من غـيـر أن نفكّر بأنّ علينا أخـــيـــراً أن نسكت ونغلق الخط، فنســـقط من جـديد في الفـراغ والعـتـمـة. . . . عندئذ. . . (تجـهش بالبكاء). أصغ إليّ، يا حبيببي. أنا لم أكذب عليك قط. . . . . . أجـل، أعــــــرف، أعـــــــرف، أنـا أصــدّقُك وإنني مـــقـتنعـــة بذلك. . . . كـــلا، ليس لـذاك. . . . . إنّمـــــا لأنـني كـــــذبت عـليك للتــــــوّ. . . . . . . مــــبـــــاشــــرة . . . . . هـــــــــــــنــــــا. . . . . . على الـهــاتف، منذ ربع ســاعـــة وأنا اكــذب. أعـــرف تمام المعـــرفـــة أنّه لـم تعـــد أمـــامي أيّة فـــائدة ترتجى من الانتظار، لكنّ الكـذب لا يؤدي من فــــائدة. نـاهيك بأنّي لا أمـيل إلى الكـذب، ولا أقــدر ولا أريد أن اكــذب عليك حـــتى في ســبـــيل نفــعك. . . . . إيه! ليس الأمـر بخطيـر، يا حـبـيـبي، فـلا تجـزع. . . .

كلّ المسـألة أنّني كـذبت عليك وأنا أصف لك ثوبي .
وحين قلت لك إنني تعـشّيت عند مـارت . . . . .
لـم أتـعـشّ ولـسـت فـي ثـوبـي الـوردي . إنّي أضـع
مـعطفـاً قـمـيـصي لأنّي لشـدة مـا انتظرتك على
الهـاتف ، ولكثـرة مـا حـدّقتُ في الجـهـاز ، ولفـرط مـا
قـعـدت وقـمت ومـشـيت في الحـجـرة طولاً وعـرضـاً
أصـابني الجنون ، الجنون ! عندئذ ارتديت مـعطفـاً
وهمـمت بـالخـروج لاسـتـأجـر تكسي وأتوجّه للمـرور
أمـام نوافـذ بيـتك حـتى أنتظر . . . . . .
. . . . . . طـيّب ! أنـتـظـر ،
لـست أدري مـاذا أنـتـظـر . . . . . .
. . . . . . أنـت عـلـى حـق . . . . .
. . . .
. . . . . بلى . . . بلى ، أنا مـصـغـيـة اليك . . .
. . . سأكون عـاقلة . . . أنا مصغية إليك . . . سوف
أسـتـجـيب لكلّ شيء ، أقـسم لك . . .
. . . . . . هـنـا . . . . . لـم
أتـناول شـيـئـاً . . . . . مـا كـان
بوسـعي . . . كنت مـتـعـبـة جـداً . . . .

. . . . رغبت، مساء أمس، في تناول قرصٍ كي أنام، وقلت في نفسي إذا ما تناولت أكثر فسوف أنام على نحو أفضل وإنّي إذا ما أخذتها كلّها، فسوف أنام من غير أن أحلم ومن غير أن أستيقظ لأني سأموت (تجهش بالبكاء). . . . . .

. . . . . ابتلعت اثني عشر قرصاً. . . .

. . . . في ماء حار. . . . .

. . . . . مثل كتلة. وشاهدت حلماً.

حلمت بما هو واقع. واستيقظت مجفلة وانا مغتبطة لأنّه كان حلُماً، وحين عرفت أنّه كان حقيقة وأني كنت وحيدة وأن رأسي لا يتكئ على عنقك أو يستند الى كتفك وأنّ ساقيّ لا تلتفّان بساقيك، أحسست أنّه لم يعد بوسعي، لم يعد بوسعي أن أعيش. . . .

. . . .

. . . . . خفيفة، خفيفة وباردة ولم أعد أشعر بقلبي وهو يخفق وتباطأ الموت في قدومه. أمّا وقد اجتاحني ألم نفسي مبرّح فقد طلبت مارت على الهاتف في غضون ساعة. . . .

. لـم تتـــوفّر لديّ الشـــجـــاعـــة لأن أمـــوت
وحـــــــــيـــــــــدة. . . . . .
. . . حـــــبـــــيـــــبـــــي. . . . . .
حـبـيـبي. . . . . كـانت السـاعـة الرابعـة صـبـاحـاً
وَصَلَتْ بصـــحـــبـــة الطبـــيب الذي يقطن مـــبناها.
كـــانت حـــرارتي أكـــثـــر من أربعين. يبـــدو أنّه
من الصـعب جـداً أن يسـمّم المرء نفـسـه، ويبـدو
أنّه يخطىء دوماً في مقدار الجرعة. كتب الطبيب وصفة
ولبـــثت مـــارت بقـــربي حـــتى المســـاء. لقـــد
رجـــوتهـــا أن تـنصـــرف لأنّك قلت إنّك
ســتـبـــهـــتف مـــرة أخـــيـــرة وداخلني الخـــوف
من أن تمنعني من الكلام. . . . حـــسن جـــداً،
جـــداً. . . . عـلى الاطـلاق. . . بـلى، هـذا
صـــحـــيح. . . . شيء من الحمّى. . . . . . .
٣٨,٣°. . . . كـان ذلك مـثيـراً للأعـصـاب. . .
. . . .
. . . لا تـــقـــلـــق. . . .
. . . . . . كـم أنا خـــرقـــاء! لقـــد آليتُ
على نفـسي ألاّ أجـعلك تقلق بسـببي، وأن أدعك

تنطلق مطمـــئناً، وأن أقـــول لك الى اللقـــاء
وكـــأنّنا ســـوف نلتـــقي غـــداً. . . . . .
. . . نتصرّف بغباء. . . بلى، بلى، غباء! . . .
. . . .
. . . . . المسـألة الشـاقّة تتـمـثّل في إغـلاق الخط
والغَرَق في الظلام. . . . . (تنتـــــحب)
. . . . ألـــو! . . . . ظـــنـــنـــت
أنّهـم قـطـعـــــــوا الخـط. . . . .
أنت طيّب، يا حـــبـــيـــبي. . . . . يا
حـــبـــيـــبي الطيّب لَكَمْ أسـأتُ إليك. . . .
. . . . . . نـعـم، تـكـلّم، تـكـلّم، قـل
مـــــــا بـدا لـك. . . كـنـت أتـألّم
حـتى التَّلَوّي على الأرض وحـســبي أن تتكلّم
لأشـعـر أنّني بخـيـر، وأغـمض عـينيّ. أتدري
أنّني أحـيـانا، حين نكون راقـديْن وأضع
رأسي في موقعه الصغير المعهود وأذُني ملتصقةٌ
بصـدرك وأنت تتـحـدث، كنت أسـمع صـوتك،
على نحو ما أسمعه تماماً هذا المساء عبر الجهاز. . .
. . . . مـتـخـاذل؟ . . . . إنّمـا أنا

المتخاذلة. لقد آليت على نفسي. . . . .
أنا. . . . على سبيل المثال! أنت
الذي. . . أنت. . . . أنت الذي
لم تهبني قط إلاّ السعادة. . . .
. . . . ولكن، يا حبيبي، أكرّر القول،
فهذا ليس دقيقاً. بما أنّني كنت أعرف- كنت أعرف-
كنت أنتظر ما قد حصل. هذا في حين أنّ العديد
من النساء يتوهّمن تمضية حياتهن بجانب الرجل
الذي أحببنه ويعلمن بالقطيعة من غير
استعدادات- كنت أعرف-. . . . .
. . . . بل إنني لم أقل لك البتّة،
لكن تذكّر، عند الخيّاطة، لقد شاهدتُ صورتها
في إحدى المجلات. . . . فوق الطاولة،
مفتوحة حتى أقصاها على الصفحة المطلوبة. . . .
. . . . إنّه إنساني أو بالأحرى أُنثوي
. . . . . لأنني لم أشأ أن
أفسد أسابيعنا الأخيرة. . . . كلا.
طبيعي تماماً. . . . . لا تجعلني أفضل
مما أنا على واقع حالي. . . . .

. . . . ألو! أسمعُ موسيقى. . . . قلت: أسمعُ موسيقى. . . . . .

. . . . لابأس: عليك أن تخبط على الجدار وتمنع هؤلاء الجيران من العبث بالحاكي في مثل هذه الأوقات. لقد تعوّدوا عادات سيّئة، لأنّك لم تكن تقيم في بيتك قط. . . . . . .

. . . . هذا ليس ضرورياً. إنّ طبيب مارت سيعود غداً على كل حال. . . . .

. . . . كلا، يا حبيبي. إنّه طبيب ممتاز جداً، وليس هناك ما يدعوني لأن أجرح شعوره باستدعاء طبيب آخر. . . . .

. . . . لا تقلق. . . . .

بالتأكيد. . . . بالتأكيد. . . .

. . . ستزوّدك هي بالأخبار. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . فـــــهــــــــــمــت. . . . . أنــا
فـــــهـــــمـت. . . . على كل حـــــال، أنـا في هذه
المرّة شـــجـــاعـــة، شـــجـــاعـــة جـــداً. . . . . .
. . . . . . مـــــــــــــاذا؟. . . . إيــه! بــلـــى،
أَفْضَلُ بمئـــة مـــرة. لولا أنّك هتـــفتَ لي لفـــارقتُ
الحـــــيـــــــاة. . . . كـــــــلا. . . . . .
تمــــــــهَّلْ. . . . تمـــــــهّلْ. . . . . .
هيّا نبـــحث عن وســيلة. . . . (تقطع الحــجـرة طولاً
وعـــرضـــا وعـــذابهـــا ينتـــزع منهـــا تأوّهات)
. . . . ســـــــامــــــحـــني. أنـــا
أعـرف أنّ هذه المشاحنة غـيـر مـقـبـولة وأنك تتـجـمّل
بـالصـــبـــر. لكن افـــهـــمني، أنا أتألمّ، أنا أتألمّ.
وهـذا الـسـلـك هـو الأخــــــيــــــــر الـذي لايـزال
يـربـطـنـي بـنـا مــــــــعــــــــاً. . . . . .
. . . . مـــســـاء أول أمس؟ نمت. لقـــد رقــدت مع
جــــــــهـــــاز الـهـــــــاتـف. . . . .
. . . كــــــلا، كـــــــلا. في ســــــريـري. . .
أجل. أعـــرف. إنّني مـــثـــيـــرة للســـخـــرية، إلا أنّي

وضعت جهاز الهاتف في سريري، لأن الهاتف، رغم كل شيء، أداة وصلٍ بالنسبة لنا. فهو يصل الى عندك بالاضافة الى الوعد الذي حصلتُ عليه بأنّك ستهتف لي. تخيّل إذن كيف احتمل في ذهني حشداً من الأحلام الصغيرة. ومخابرتك[1] هذه أضحت طعنةً[1] حقيقية تسدّدها إليّ فأهوي، أو أنّها تغدو عنُقاً[1]، عنقاً يُحكَمُ حوله الخناق. أو أنّني أجد نفسي في لجّة بحر شبيه بالمسكن القائم في «أوتوي» وأنا موصولة بك عن طريق أنبوب بِزّة غطّاس. وكنتُ أتوسّل إليك كي لا تقطع الأنبوب- أي أنّها في نهاية المطاف أحلام غبيّة حين نرويها. إلا أنها كانت في النوم نابضة بالحياة وكان ذلك رهيباً. . . . .
. . . . . لأنّك تتحدث إليّ.
ها قد مضت خمس سنين وأنا أحيا بكَ، أنت الهواءُ الوحيد الذي استنشقه، أنا أمضي وقتي في انتظارك، حين تتأخّر أحسبُ أنّك قد مُتَّ، وأموت أنا، لأنّي

(١) يعمد الكاتب الى استخدام جناس خاص بالفرنسية حيث لفظة «كو» ذات معان عديدة: Coup ضربة أو طعنة- Cou عنق ومخابرة هاتفية Coup de téléphone أو حرفياً: ضربة هاتف.

أحسبك ميتاً، ثم أعود للحياة حين تدخل وحين أراك هنا في النهـاية، ثـم أمـوت مـخـافـة أن ترحل. الهـواء مـتـوفّر لي الآن لانّك تحـدّثني. ليس حلمي على جـانب كـبـيـر من الغـبـاء. إذا قطعتَ الخط تكون قـد قـطـعـت الأنـبـوب. . . . . . .

. . . .

. . . . . . هذا مـفـهـوم، يا حـبـيـبي، لقـد نمت. لقـد نمت لأنّهـا المرّة الأولى. الطبـيـب قـال ذلـك: إنّهـا حـالة تسـمّم. في الليـلـة الأولى ننـام. ناهيك بأنّ الألـم يسـبّب شـروداً في الذهن، فـهـو لايزال جـديدا جـداً وترانا نتـحـمّله. أمّا الذي لايُمكن تحمُّله، فهو الليلة الثانية، يوم أمس، والثالثة هذا المسـاء، بعـد بضع دقـائق، وغـداً، وبعـد غـد، وأيام كـيف سـتنقـضي يا الهي؟. . . . . .

. . . .

. . . لـيـس بـي مـن حـمّى، ولا أيّة حـمّى، إنّني أرى بـوضـوح. . . . . .

. . . . . أمّا وهـي بـلا حـلّ، فـقـد

كـــان يجـــدر بي أن اكـــون شـــجـــاعـــة وأن أقصّ
عـليك عــــدداً مـن الأكــــاذيب . . . و . . . وإذا
سلّمنـا بأنّني قـــد نمت ، فـــبـــعــد النـوم تـأتي
الأحــــلام ثـم اليـــقظة والطعـــام والنهـــوض
والاغـتـســال والخـروج ثـم الذهاب الى أين؟ . . . .
. . . . ولكـن ، يا حـــبـــيـــبي ، لـم يكـن لـديّ
قـطّ مــــا أفـــعلـه غـــيـــرك أنـت . . . . .
. . . . . عــــــــفـــــــــواً! كـنـتُ
على نحـــو دائم مـــأخـــوذة بك ، مـــأخـــوذة
مـــــن أجــــلـــــك . . . . . .
. . . . مـارْتْ لهـا حـيـاتهـا المنظّمـة . . . . . .
. . . . أي كـــــأنّك تـســــــــأل
ســمكة كـــيف قـــرّرتْ أن تـنظّم شــــؤون
حــيـاتهـا من غــيـر مـاء . . . اكـرّر لك القـول ،
لـست بـحـــــاجـــــة لأحــــــد . . . .
تـسليـــــات! ســـــوف أبـوح لـك بمســـــألـة
ليـست شـاعـرية جـداً إلا أنّهـا حـقـيـقـيـة . فـمنذ
ذلك المســـاء الهـــائل يوم الأحـــد ، لـم يشــــرد
بي الذهـن إلا مـــرّة واحـــدة ، عـند طبـــيب الأسنان ،

حين لمس لي عــــصـــــبــــــا. . . .
. . . . . . وحـــــــيـــــــدة. . . .
. . . . . وحــــــيـــــــدة. . . . . .
. . . ها قــــد مــــضى يومــــان وهو لا يغـــــادر
البــــهـــــو. . . . . رغـــــبـــتُ
في أن أناديه، وأن أُمـــسِّده. إنّه يرفض أن يَمْسَسَهُ
أحــــد. لو أثقلت عليــه لعــضّني. . . أجل، أنا،
أنا! إنّه يكشّر عن أنيـــابه ويزمـــجـــر. إنّه كلب
آخـــر، أؤكّد لك. إنّه يخــــيــــفني. . . . .
عند مــارت؟ أقــول لك مــجــدداً إنّ مُقَارَبَتَهُ غــيــر
ممكنة. لقـد عــانت مـارت كــثـيــراً قــبل أن تـخــرج.
لـم يكـن يـدعـنـا نفـــتح البـــاب. . . . .
. . . . بل هذا يشكّل مــزيداً من الحــذر. أقـــسم
لك إنّه يفــزعني. لم يعــد يأكل. لم يعــد يتــحــرّك.
وحين ينظر إليّ يقــشــعــرّ لنظرته كل جــســمي. .
. . . . كــــــــــــيــــف
تـريدنـي أن أعــــرف؟ ربما يحـــسب أنّي قـــــد
أســـــــــــــأت إلــيــك. . . . .
. . . يا لـه من حـــيـــوان مـــسكين! . . . .

. . . . . . ليس لديّ من سبب لأكرهه. لست أفهمه إلا على نحو أفضل. إنّه يحبّك. لم يعد يراك داخلاً. إنه يعتقد انّها غلطتي. . . . . . حاول أن ترسل جوزيف. . . . أعتقد أنه سيتبع جوزيف. . . . . . إيه! أنا. . . . . شيء من هذا وشيء من ذاك. . . . . لم يكن متعلّقاً بي قط. البرهان! . . . . . . كان يبدو عليه ذلك، هذا ممكن، لكني أقسم لك تماما على أنّه لا ينبغي أن ألمسه. . . . . إن كنت لا تريد استرداده فسوف أضعهُ عند حارس. ليس ما يدعو لأن يصاب هذا الكلب بالمرض ويصير شرساً. . . . . لن يعضّ أحداً لو كان عندك. سوف يحب الذين تحبّهم. . . . . أقصد في نهاية الأمر أن أقول: سوف يحبّ الناس الذين تعيش معهم. . . نعم، يا حبيبي. مفهوم. لكنّه كلب. إنه لا يستطيع،

رغم ذكـــائه أن يخـــمّن الأمـــر. . . . .
. . . . . لم أكن اتضـــايق أمــــامـــه.
لا يعلم إذن مـــا رآه إلا الله! . . . . . .
. . . . . أقـــصــد أنه ربما كـــان
ينكرني، وربما أكـــون قـــد أخـــفـــتـــه. . . . .
. . . . ليس من يعـــرف البـــتـــة
. . . . . عـــلـــى الـــعـــكـــس. . . . .
هاك قصّة خالتي جان، مساء اليوم الذي أخبرتُها فيه
أنّ ابنها قد قُتِل. إنّها في العادة شاحبة جداً وقصيرة
جـــداً- طيّب، لقـــد أمـــست شـــديدة الاحـــمـــرار
وعـــمـــلاقـــة. . . . . عـــمـــلاقـــة
حمراء، كانَ رأسها يطاول السقف وأمست يداها
تـــطـــالان كـــل شـــيء، وظـــلّهـــا يـــملأ
الحـــجـــرة وباتت تثـــيـــر الخـــوف. . . . .
. . . . كـــانت تثـــيـــر الخـــوف. . . . .
. . . . . أســـتـــمـــيـــحك عـــذراً. بشـــأن
كلبـــتـــهـــا. أخـــذت تخـــتـــبيء تحت الخـــزانة
وهي تعـــوي كـــأنّهـــا تهـــرُّ وحـــشـــاً. . . . . .
ولكن لست أدري، يا حـــبـــيـــبي! كـــيف تريدني

أن أعـــــرف؟ لا يـغــــدو المرء نفــــسَه. لاريب في
أنني قِـــمت بأشـــيــــاء مـــفـــزعـــة. إعلَمْ أنّني
مـــزّقت، دفـعـــة واحـدة، رزمـــة صـــوري بكاملـهـــا
ومـــعـــهـــا مظروف المصـــورّ من غـــيـــر أن ألحظ ذلك.
ومــــثل هـذا لا يقـــوى على فـــعله رجل. . . .
. . . . تلك المخــصـــصـــّة للتـــرخـــيص. . . .
. . . . مـــــــــاذا؟ . . . . كــــــــــلا،
مـــادمت لم أعـــد بحـــاجـــة الى ترخـــيص. . . . .
. . . . . لـيـــــــــست خـــــســــــــارة.
كـنـتُ مُــــــــرعــــــــبــــــــة. . . . .
. . . أبداً! لقـــد شـــاء حـــسن طالعي أن ألقـــاك
وأنا مـــســـافـــرة. أمـــا لو ســـافـــرت الآن ولقـــيـــتك
لـكـــان ذلـك مـــن ســـــــــوء طـالــعـــي. . . .
. . . . . لا تـــــــلـــــــحّ. . . . .
دع. . . . ألـــو! ألـــو! يـــا مـــــــــــــدام،
اخـــرجي عن الخط. أنتِ مع مـــشـــتـــركين. ألو! كـــلا،
كــــلا، يا مــــدام. . . . لكن، يـا مـــدام، نـحن
لا نســـعى الى إثارة الاهتـــمـــــام. ليس لك الا أن
تـــــــــدعـــــــــي الخـــــــط. . . . .

. . . . مـــــــــا الـذي يـدعـــــــوك، وأنـت
ترينَ أنّنا مـشـار سـخـرية، الى إضـاعـة وقـتك، بدلاً
مـن إغـــــــــــلاق الخـط؟ . . . . .
. . . . أيه! . . . . يا حـــبـــيـــبي،
يـا حـــبـــيـــبي! لا تغـــضـب . . . . .
. . . . أخـــيـــراً! . . . . كـــلا، كـــلا!
هذه المرة، أنا . لمستُ السـمـاعـة فـأغلقت الخط .
أغلقت الخط على الفـــور من بعـــد أن قـــالت
ذلـك الـكـلام الـدنـيء . . . . ألـو! . . . . .
تبـــدو عليك الصـــدمـــة! . . . . بلى، بلى،
لقـد أُصبْتَ بصـدمـة على أثر مـا سـمـعـتَه من كـلام،
فـــأنـا أعـــرف صـــوتك . . . . . .
أنـت أُصبـتَ بـصــــدمــــة! . . . أنا . . . .
. . . . لـكن يـا حـــبـــيـــبي، لاريب فـي أنّ
تلك المرأة لئيـمة جـداً وهي لا تعـرفك . إنّهـا تعـتـقـد
أنّك مـثل الرجـال الآخـرين . . . . كـلا، كـلا يا
حـــبـــيـــبي! ليس الأمـــر مماثلاً أبداً . . . . .
. . . . أيّة مـــشـــاعـــر ندم؟ . . . .

ألـــــــو! . . . . دع عـــــــنـــــــك . دع . لا
تفكرّ من بعـــد بتلك الحـــمـــاقـــة . انتـــهى . . . . .
. . . . كـــم أنـــت ســـــــــــــــاذج! . . . .
من أيّ امـــرىء كـــان . صـادفت أول أمس الشـــخـصـيـــة
التي يبـــدأ اســـمــــهـــا بحـــرف س . . . . .
بحـــرف س- ب . س . أجل، هنري مــــارتان . . .
. . . . ســــــــــــألَتْني إن كـــــــــان لـــك أخ
وإن كـــان هو الذي ظهـــر إعـــلان عن زواجـــه . . . .
. . . . كـــــــــــــــيـــف تـــريـــد أن يـــؤثّر
فـــــــــــــيّ ذلـــــــــــك؟ . . . . . . إنّ
الحـــــــقـــــــيـــــــقـــــــة . . . .
. . . . مـــســـــــــحـــــــة عـــــــزاء . . . . . .

. . . .

أصـــــــارحك بأنّي لـم أدع الحـــــديث يطـول . قلـت
إنّي أنـتـظـر قـــــــدوم أنـاسٍ إلـى بيـــــــتـي . . . . لا
تبحث عن الظهـر في السـاعـة الرابعـة عشـرة[١]، فالمسألة
سهلة جداً إنّ النـاس يمقتون من يقوم بإهمالهم، وشيئا فشيئاً
أهـمـلـتُ الجـــــــمـــــــيـع . . . . . .

(١) مثل فرنسي معناه: لا تبحث عن المصاعب حيث لا وجود لها.

. . . . . لم أشأ أن أضيّع
دقيقة واحدة من وقتنا . . . . سيّان تماما .
بوسعهم أن يقولوا ما يشاؤون . . . . .
. . . . على المرء أن يكون منصفاً . كان
وضعنا في نظر الناس غير قابل للتفسير . . . .
. . . . بالنسبة للناس . . . . .
العلاقة بالنسبة للناس تقوم على تبادل الحب أو التباغض .
والقطيعة هي القطيعة . نظرتهم سطحيّة على الدوام . وأنت
لن تجعلهم يفهمون أبداً . . . . .
أنت . . . . أنت لن تجعلهم يفهمون
بعض الأشياء أبداً . . . . . .

. . . .

. . . . . . أفضل شيء هو التصرّف
على نحو ما أفعلُ والاستخفاف بذلك . . على نحو
تام (تندّ عنها صيحة توجّع خافتة) إيه!
. . . . . . لاشيء . انا أتكلّم ،
أتكلّم ؛ أحسب أننا نتكلّم مثلما نفعل عادة ثم تعود
الحقيقة إليّ على نحو مباغت . . . .
. . . . (تسيل دموعُها) . . . . .

. . . . لمـــــــــــــــــــــــاذا
نتـــــيـــــه مع الأوهام؟ . . . . . أجـل . . . . .
. . . . . . أجـل . . . . كـــــــلا! كـــــــانـوا
فيما مضى يتقابلون. كان بوسعهم أن يفقدوا رشدهم،
أن ينسـوا عـهـودهم، أن يجـازفـوا بالمسـتـحيـل ويقنعـوا
الذين يعـبـدونهم وهـم يعـانقـونهـم ويتـشـبـثّون بهـم.
كـــان بوسع نظرة أن تبـــدّل كل شـــيء. أمـــا بوجـــود
هذا الجـهـاز فـإنّ مـا انتـهى قـد انتـهى. . . . .
. . . . كن مطمــئنا. فـــالمرء لا ينتـــحـــر
مـــــــــــــــرتــين. . . . .
. . . . . . قـــــد يكون ذلك لمحـــــاولـة
الـــــــنـــــــوم. . . . .
. . . . . لـن يـكـون بـوســـــعي شـــــراء
مــــــســــــــدس! . . . .
. . . . أيـــن أجـــــــــــــدُ
الـقـــــوّة لحبّك كذْبـةٍ، يـا مـــــعـــــبـــــودي
الحـــــــبـــــــيـب؟ . . . .
. . . . ولا واحـــــــدة. . . . كـــــــان
عليّ أن أتحلّى بالشــجـــاعـــة. فـــالكذب في بعض

الظروف مـفـيـد . ليـتك تكذب أنت لجـعل الفـراق
أقـــــــــل ّضـــــــــــنــــــــــــى . . . . .
لا أقـــــول إنّك تـكذب . أقـــــول : ليـــــتك تـكذب
وأنا أعـرف ذلك . لو انّك ، مـثــلاً ، لم تكن في البـيت
وتـقـــــــــول لـي . . . . كـــــــلا ، كـــــــلا ،
حــــبــــيــــــبي ! أصـغ . . . .
أصـــــــدّقُك . . . . . لـم أقـــــصـــــــد أن
أقــــــول إنـي ّلـم أصـــــــدّقـك . . . .
. . . . . لماذا غــــــضـــــبـت؟ . . . . .
. . . . بلى ، أضــحى صــوتك مـــقـــيـــتــا .
أقـــول باخــــتــــصــــار إنّك لو خـــدعـــتني عن
حــسن نيّة ثـم اكــتــشـــفتُ ذلك لما شــعـــرت
حـــــيــــــالك إلاّ بمـزيـد من الحنـان . . . . ألـو !
ألـــــــو ! . . . . ألـــــــــو ! . . . . .
(تغلق الخط وهي تقـول بصـوت خـافـت وتكـرار سـريع)
يا إلهي (اجـعله يطلبني ثانيـة . ياإلهي اجعلهُ يطلبني ثانيـة .
يا إلهي اجـــعلـه يطلبني ثانيـــة . يا إلهي اجــــعلـه
يطلبني ثـانيـة . يا إلهي اجـعـله (جـرس الهـاتف يرن .
ترفـع السـمـاعـة .) لقـد قطعـوا الخط . كنت أقـول إنك

لو كــــذبت عليّ بنيــــةٍ حـــــسنة ثـم لاحظت ذلك،
لمـا شَعَرْتُ حـــــــيــــــــالـك إلا بمــزيـد مـن
الحـــــــنــــــــان. . . . . .
. . . . بـالتــــــأكـــــيــــــد. . . . .
. . . . . أنــــــــت جُنِنْتَ!. . . . . .
. . . . . . يا حــــبـــيـــبي. . . . . .
. . . . . . يا حــــبـــيــــبي الغــــالي. . . . .
. . . . . (تــقـــــــوم بـلـفّ الســلــك
حــــــول عـنقـــــهـــــا). . . . . . .
. . . . . أعـــــرف حـــــقـــــا أنْ لابدّ منـه،
إلا أنّه بـــــــشـــــــع. . . . . أبــــــداً
لـن احظى بهــــذه الشـــجـــاعـــة. . . . . .
. . . . أجل. نتــوهّم أننا مــتـــلاصــقــان أحـــدنا
بالآخــر وبغـــتــة يضــعـــون أقـــبـــيــة وأسْيِقَةً
ومـدينة بحـالهـا فـيـمـا بيننا. . . . هل تتـذكـرّ إيفـون
التي كـــانت تتـســاءل كـيـف يسـتطيع الصـــوت أن
يمرّ عــبـر تعـرّجـات السلك كلّهـا. السلكُ مُلْتَفٌّ الآن
حــول عنقي. وصـــوتك يلتفُ حـــول عنقي. . . .
. . . . ينبــغي على مكتب الهــاتف أن يقطع علينا

الخط بطريق الصـــــــدفـــــــة. . . . .
. . . . إيه! يا حــــبـــيـــــبي! كـــيف
لك أن تتـــخيّل أنني أفكّر بمثل ذلك الشيء القـــبـــيح؟
أعـــرف تمامـــاً أنّ هذه العـــمليـــة لو نُفّذتْ من طرفك
لكانت أيضاً اكثر بشاعة من تنفيذها من طرفي. . . . . .
. . . . . كـــلا. . . . كـــلا، كـــلا. . . . .

. . . .

. . . . في مـــــرســـــيليـــــا؟
. . . . . . إســـمع، يا حـــبـــيـــبي،
بما أنكمـا سـتكونان في مـرسـيليـا بعـد غـد مـسـاء،
فــــإنّي أرغـب. . . . . . أخـــيـــراً
بـــــودّي. . . . . بـــــودّي أن.
لا تـنـزل فـي الـفـنـدق الـذي كـنّا نـنـزل فـــيـــه
عـــادة. أنـت لـست مـــغـــتـــاظاً؟. . . . . .
ذلك أنّ الأشـــيـــاء التي لا أتخـــيّلهـــا، لا تـغـــدو
مـــوجـــودة، أو أنّهـــا تكون مـــوجـــودة في مـــا يشـــبـــه
مكاناً شديد الغمـوض فيتسبّب بقليلٍ من الألـم. . . . .
. . . . . أنـت فـــهـــمـت؟. . . .
. . . . شـــكـــراً. . . . . شـــكـــراً.

أنت طيّب. أنا أحـــبك. (تنهض فـــتـــتـــوجّه.
صـــوب الســـرير وهي تحـــمل الجـــهـــاز بيـــدها)
إذن، هـــكـــذا. . . . هـــكـــذا. . . . .
. . . . . كنتُ أوشك أن أقـــول على نحـــو آلي:
نـلـتـــقـي بـعـــد قـلـيـل. . . . . . .
. . . . . . أشـــكّ فـــي ذلـــك. . . . . .
. . . . لـــيـــس مـــن يـــدري أبـــداً. . . . .
. . . . . . إيـه! . . . . هـذا أفـــضـــل.
أفـــضـل بكـثـــيـــر. . . . . . (تـتـــمـــددّ
على الســـرير وتحـــتـــضن الجـــهـــاز بين ذراعـــيـــهـــا)
يا حـــبـــيـــبـي. . . . . يا حـــبـــيـــبـي، يا مليح
الـوجـــه. . . . . أنـا جـــريـئـــة. .
اسـتـعـــجل. هيّا. أغلق الخط! أغلق بسـرعـة. أغلق!
أحـــبك، أحـــبك، أحـــبك، أحـــبك، أحـــبك. . . .
. . . .
(تسقط السماعة على الأرض.)

«تسدل الستارة»